

ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب في المجتمع الجزائري

-دراسة حالة ببعض أحياء مدينة عنابة-

د. زيتوني عائشة بية

جامعة باجي مختار - عنابة - الجزائر

ملخص:

عمد العديد من الشباب في المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة إلى تحقيق طموحاتهم عبر وسيلة غير قانونية تجلت في الهجرة غير الشرعية و التي أصبحت ظاهرة تعاني منها أغلب الأسر الجزائرية بكافة مستوياتها الاقتصادية و الثقافية. و قد اجتمعت عدة عوامل ساهمت في استفحالها و ارتفاع معدلاتها بحيث أصبحت تمس أيضا فئة الإناث و المراهقين. كما انجرت عنها العديد من الآثار و التي بالرغم من خطورتها إلا أن هذه الفئات لم تحبط عزيمتها في التخلي عن فكرة الهجرة بصورة سرية. وعليه صغنا التساؤل المركزي التالي: ماهي جملة العوامل و الآثار التي تقف وراء ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب في المجتمع الجزائري؟.

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير الشرعية- الشباب- العوامل- الآثار.

Abstract:

Many young people in the Algerian community in recent years deliberately to achieve their aspirations through illegal means manifested in illegal immigration, which has become a phenomenon experienced by most of the Algerian families of all economic levels and cultural had met several factors contributed to the high rates they escalate and become so also affect the female category and Alemraehgan.kma dragged by many of the effects, which, despite serious but these groups did not frustrate her resolve to abandon the idea of secret migration so we formulated the following question: What are among the factors and effects that stand behind the phenomenon of migration legitimacy for Algerian youth in the community.

Keywords: Illegal immigration - Youth - Factors – Impacts.

مقدمة:

عرفت الجزائر بعد الدخول إلى عالم الاقتصاد الحر، العديد من الظواهر الاجتماعية المرضية الناجمة عن الظروف الاقتصادية الصعبة؛ التي يمر بها الفرد الجزائري في حياته اليومية، أين وجد العديد من الشباب و الفئات الاجتماعية الأخرى أنفسهم في مواجهة الفقر والحاجة و ندرة تحقيق الطموحات في ظل غياب الوسائل الكفيلة بذلك؛ ما دفع بهذه الفئة إلى القيام بهجرة غير شرعية بغية تحسين أوضاعهم الاجتماعية. من هنا ظهرت فكرة الهجرة السرية و أصبح لها أباطرتها الذين يمولونها، ويسهرون على إدارتها والتحكم في سيرورتها، بعد أن كانت مقتصرة فقط على سواحل الغرب الجزائري؛ كوهران، الغزوات، أرزيو...، لكنها امتدت لتمس الناحية الشرقية للبلاد حتى أصبحت هاجسا في عقول الشباب إناثا و ذكورا بطلين منهم أو حاملين لشهادات؛ و ذلك للتخلص نهائيا من متاهات البطالة و الانتظار الطويل. و قياسا على ذلك فقد تحولت الجزائر في فترة وجيزة إلى معبر هام بالنسبة لكل الراغبين في الالتحاق بأوروبا بطرق غير قانونية؛ الأمر الذي جعل الجزائر تشهد حركة غير شرعية من الهجرات الخارجية.⁽¹⁾

إذ أصبحت تعيش منذ العشرية الأخيرة عدة اضطرابات، في مختلف المجالات ما ساهم في تزايد النزعة الفردية؛ حيث أصبح الفرد يركض وراء مصلحته الشخصية بحثا عن مستوى معيشة أفضل. غير أن تحقيق ذلك أصبح أمرا مستحيل المنال في ظل تبني المؤسسات الاقتصادية نظام الخصخصة، الذي تمخض عنه تسريح عدد هائل من اليد العاملة البسيطة دون مقابل أو مقابل تعويض بسيط، ما أدى إلى تضاعف الكتل البشرية العاطلة عن العمل، إذ أصبحت البطالة هاجسا يمس عددا هائلا من أفراد المجتمع؛ ما نتج عنه توسع حلقة الفقر التي أصبحت تهدد نصف المجتمع إضافة إلى أزمات أخرى صحية و سكنية... إلخ.

كل هذه العوامل أدت إلى عدم تكيف الأفراد مع الواقع المجتمعي المتأزم و إلى اختلال التوازن السلوكي و الأخلاقي لديهم، ما سمح بإنتاج الانحرافات كالسرقة و الإدمان و الهجرة غير الشرعية بأية طريقة تعبيرا عن عدم الرضا و الرفض للواقع الذي لا يوفر أدنى

ضرورات الحياة. و في ظل ذلك تكونت فئة تعبر عن هذا الرفض لها ثقافة فرعية خاصة بها، تشرّع لنفسها ما تريد و تقدّم تبريرات، في محاولة لإقناع المعارضين لثقافتنا بوجهة نظر نابغة من فلسفتها في الحياة، وقوانينها المستمدة من قساوة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والوجدانية. و قد مست هذه الظاهرة شريحة واسعة من المجتمع من كلا الجنسين؛ وشملت مختلف الفئات العمرية و المستويات الثقافية وبصورة أكبر لدى الطبقات الوسطى و الدنيا، التي ترى في الهجرة غير الشرعية حلا لمشاكلها و ضمانا لمستقبلها، مخاطرهم بحياتهم و بكل ما لديهم لتحقيق مستوى معيشي أفضل.

و عليه فقد مثلت هذه الظاهرة إحدى أهم القضايا المعاصرة التي تحتل صدارة الاهتمامات الدولية والوطنية لاسيما في ظل التوجه العالمي نحو العولمة الاقتصادية وتحرير قيود التجارة ما يقضي بفتح الحدود وتخفيف القيود على السلع وحركة رؤوس الأموال؛ وما نتج عن ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية على الدول النامية والفقيرة. هذه الانعكاسات السلبية ساهمت بشكل كبير في زيادة وتيرة الهجرة غير الشرعية نحو الدول المتقدمة .

من هذا المنظور يمكن تفسير الهجرة غير الشرعية في المجتمع الجزائري، بأنها نتاج ثقافة اليأس والقنوط الذي يلقي صدى كبيرا داخل الأوساط الشبابية المهمشة، والقابعين في الأحياء الفقيرة، والقريبة من التجمعات السكنية الفوضوية المجاورة للمدن الكبرى. إذ تكونت شبكات منظمة⁽²⁾ شبه سرية تعمل في مختلف المناطق البحرية، تقدم خدماتها إلى هؤلاء الشباب مقابل دفع مبالغ مالية تقدر بـ 3.5 مليون سنتيم أو أكثر. كما تشير الإحصائيات التي تقدمها مصالح الضبط الجزائرية يوميا إلى التزايد المخيف في معدلات هذه الظاهرة مقارنة بالسنوات الماضية⁽³⁾؛ حيث نجد أن الرقم لم يتجاوز 335 مهاجر سنة 2006، أما في 2007 فقد تم إحصاء 1570 مرشح للهجرة، اعتقل منهم 1485 بين شهري (جانفي - أوت) لسنة 2007. بينما سجلت الظاهرة عام 2009 تناميا ملحوظا رغم أنه العام الأول من تطبيق القانون الجديد المجرم للظاهرة، إذ ظهرت أصناف جديدة من المهاجرين؛ إذ سجل أعلى مستوى

لأطفال وصلوا الشواطئ الإيطالية و الإسبانية و عدد من النساء الحوامل و الشيوخ.(4) كما أحصت المنظمات الدولية أكثر من 180 ألف هاجروا إلى أوروبا في سنة 2016.(5) و في هذا الصدد ترى "دردر نصيرة" -مختصة في اقتصاد الجزائر-؛ أن ظاهرة الهجرة غير الشرعية بدأت مع انفجار الأزمة الاقتصادية في الجزائر 1986-1988 والتي نتج عنها رفع التدعيمات من طرف الدولة و ذلك بأمر من صندوق النقد الدولي، بالإضافة إلى الأزمة الأمنية و التي تفاقمت مع نهاية التسعينات، و في ظل كل هذه الظروف بدأت الهجرة غير الشرعية تفرض نفسها بطريقة غير مباشرة.(6)

وفي ظل هذه الظروف المزرية التي يعيشها الشباب الجزائري، تأتي هذه الورقة كمحاولة سوسيولوجية لتحليل عوامل و آثار ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب، في بعض أحياء مدينة عنابة.وهو ما دفعنا لصياغة التساؤل المركزي التالي: **ماهي جملة العوامل و الآثار التي تقف وراء ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب في المجتمع الجزائري؟.**

أولاً: الإطار المنهجي للدراسة: للإجابة على التساؤلات التي طرحناها في مقدمة هذا البحث وظفنا المنهج الوصفي باستخدام طريقة دراسة الحالة بتتبع 05 حالات على مستوى بعض أحياء مدينة عنابة(حي بوخضرة و سيدي سالم -بلدية البوني/عنابة) كونهما مكان إقامة عينة البحث من جهة،و باعتبارهما قطبي استقطاب للشباب المهاجر.و قد اختيرت الحالات بطريقة عينة كرة الثلج التي نفذت هجرة غير شرعية وفشلت محاولتها، تتراوح أعمارهم بين 17-30 سنة.و امتدت هذه الدراسة من جانفي 2016 إلى مارس 2017.كما اعتمدنا على أدوات لجمع البيانات تمثلت في مجموعة من الوثائق تناولت موضوع الهجرة غير الشرعية(مقالات من الجرائد اليومية الجزائرية و كذا بعض المواد القانونية الخاصة بهذه الظاهرة).وكذا مقابلة معمقة(بؤرية) طبقت مع الحالات المبحوثة للوقوف على العوامل التي دفعتهم إلى هذا النوع من الهجرة و آثارها عليهم.(انظر الملحق رقم-1:-محتوى أسئلة المقابلة المعمقة).

ثانياً:تحديد مفاهيم الدراسة: ارتكز هذا البحث على مجموعة من المفاهيم تجلت في:

1- مفهوم الهجرة غير الشرعية: يترادف هذا المفهوم كثيرا مع "الهجرة السرية"، الهجرة غير القانونية، غير المنظمة. لغة هي: الخروج من أرض إلى أخرى لأسباب متعددة⁽⁷⁾. اصطلاحا: هي ظاهرة جغرافية تمثل انتقال السكان من مكان جغرافي إلى آخر مع تغيير مكان الاستقرار الاعتيادي للفرد⁽⁸⁾. أما إحصائيا فتعني كل مغادرة من المكان الأصل لمدة سنة أو أكثر و تعتبر هجرة دائمة، أما إذا كانت أقل من ذلك فهي هجرة مؤقتة. ⁽⁹⁾

كما أن الهجرة غير الشرعية أو غير النظامية تعد سلسلة من الظواهر المختلفة إذ تشمل الأشخاص الذين يدخلون أو يظلون في دولة على خلاف ما تقتضيه القوانين الداخلية لتلك الدولة؛ دون تصريح، وضحايا التجارة غير المشروعة والاتجار بالبشر وطالبي اللجوء المرفوض طلبهم والذين لا يمثلون لأمر الإبعاد والأشخاص الذين يتحايلون على ضوابط الهجرة بزواج تم الاتفاق عليه. ⁽¹⁰⁾

و تعرف الهجرة غير الشرعية في القانون الجزائري حسب الأمر رقم 211/66 المؤرخ في 21 جويلية 1966 بأنها "دخول شخص أجنبي إلى التراب الوطني بطريقة سرية أو بوثائق مزورة بنية الاستقرار أو العمل". أما إجرائيا: فهي عملية الالتحاق بالديار الأوروبية بدون وجه قانوني و غير شرعي و سري. و من أهم المناطق التي تجري فيها هذه الهجرة عامة نجد حوض البحر المتوسط (مابين شمال أفريقيا ودول جنوب أوروبا خصوصا)؛ الحدود المكسيكية مع الولايات المتحدة وبعض دول أميركا اللاتينية؛ دول شرق آسيا؛ وخصوصاً ما بين أندونيسيا وأستراليا. هذا بالإضافة إلى دول آسيوية وأفريقية مختلفة تتم من خلالها عملية تنظيم هجرات سرية منفردة، أو جماعية باتجاه بلدان الجذب الواقعة في الشمال: دول أوروبا أو أميركا الشمالية، أو بعض دول الجذب في جنوب الكرة الأرضية كالبرازيل وأستراليا.

2- مفهوم المهاجر السري: يترافق مع مفهوم الحرّاقة، الحريك، و هو الشخص الذي يتسلل إلى السفينة أو ينتقل بوسائل أخرى؛ قارب أو زورق يطفو على سطح البحر متجها نحو أوروبا بطرق غير قانونية و بصورة سرية و يتصف ب: ⁽¹¹⁾

- شخص يدخل بلداً بطريقة غير قانونية ولا يسوّي وضعه القانوني.
 - شخص يدخل بلداً بطريقة قانونية ثم يمكث هناك بعد انقضاء مهلة الإقامة القانونية.
 - شخص يعمل بصورة غير قانونية خلال إقامة مسموح بها.
- إن قراءة في هذه المفاهيم تضعنا أمام التساؤل التالي: ما هو واقع الهجرة غير الشرعية في المجتمع الجزائري خاصة و المجتمعات الأخرى عامة؟ و للإجابة على ذلك استقصينا الواقع الاجتماعي و أدبيات البحث العلمي من خلال ما يلي.

ثالثاً: ظاهرة الهجرة غير الشرعية في التراث العلمي: كثيرة هي الشعوب التي عرفت الهجرة في تاريخها، وكثيرة هي الدول التي قامت ونشأت من المهاجرين، كآسيا وأوروبا وأميركا وحتى في أفريقيا، وكلنا يعرف أن دولاً مثل و.م.أ وكندا، وكثير من دول أميركا اللاتينية وأستراليا قامت وتطوّرت بفضل الأعداد الكبيرة من المهاجرين من مختلف مناطق العالم⁽¹²⁾. واليوم وبعد أن اتخذت الدول أسماءها وحدودها، وهويتها القومية والسياسية والدينية، وضعت من القوانين الداخلية ما يكفل لها المحافظة على كيائها وشعبها، حددت طرقاً وقوانين للدخول إليها، والإقامة أو العمل فيها، كما وضعت قواعد وأنظمة لمنح جنسيتها لمن يأتي إلى مجال سيادتها أو يطلب إذنًا بالبقاء فوق أرضها، سواء كان ذلك مؤقتاً أو دائماً. ومن يدخل بلداً ما خارج إطار هذه القوانين يعتبر وجوده فيها غير قانوني، وقابلاً للتوقيف والترحيل العاجل.

إن الهجرة ظاهرة قديمة، تعود إلى قدم الإنسان نفسه، وانتقاله الدائم والدءوب من مكان إلى آخر بحثاً عن الرزق ووسائل العيش، أو بحثاً عن الأمان، أو هرباً من الطبيعة والطقس؛ و يبقى دافعه في ذلك هو حب البقاء والحفاظ على الحياة، أو الرغبة في اكتشاف بيئة أكثر تلاؤماً مع حاجاته وطموحاته؛ ولعل هذا ما يفسّر تضارب التقديرات حول عدد المهاجرين غير الشرعيين؛ إذ حسب التقديرات الأخيرة للأمم المتحدة، يبلغ حجم هذه الهجرة 1780 مليون شخص، كما أن منظمة الهجرة الدولية قدّرت حجم الهجرة غير القانونية إلى دول الإتحاد الأوروبي بحوالي 1.5 مليون شخص.⁽¹³⁾ كما تقدر منظمة العمل الدولية حجم الهجرة

السرية ما بين 10-15% من عدد المهاجرين في العالم، البالغ حسب التقديرات الأخيرة للأمم المتحدة حوالي 180 مليون شخص. كما تقدر الأمم المتحدة أعداد المهاجرين غير الشرعيين إلى دول العالم المتقدم خلال السنوات العشر الأخيرة بنحو 155 مليون شخص.⁽¹⁴⁾ بينما سجلت إحصائيات الأمن الإيطالية وحدها في الربع الأول من العام الحالي استقبال سواحل كالابريا 14 زورقاً محملة بأكثر من 1500 مهاجر غير شرعي معظمهم من المصريين، وقد بلغ إجمالي المهاجرين غير النظاميين نحو إيطاليا عام 2007 عن طريق البحر نحو 1419 مهاجراً، لقي 500 مهاجر مصرعهم في البحر المتوسط، مقابل 302 مهاجر فقط خلال عام 2006.⁽¹⁵⁾

أما عن الهجرة ببلدان المغرب العربي، فتؤكد أغلب الدراسات السوسولوجية التي أجريت في هذه الدول أن نسبة عالية من الشباب، وغيرهم من الأطفال والكبار يحملون بالهجرة السرية للتخلص من البطالة و الظروف القاسية. ففي منطقة بني ملال وسط المغرب؛ أكد حوالي 1642 من الذين يفكرون بالهجرة، أنهم سيلجئون إلى الهجرة غير الشرعية بأي ثمن من أجل الوصول إلى أهدافهم.⁽¹⁶⁾ ذلك أن شباب اليوم المهاجر إلى الشمال يلجأ إلى حرق أوراق الهوية وجميع مستنداته أملاً في الحصول على هوية جديدة ما إن تطأ قدمه وسيلة النقل المعذة لهروبه، والتي قد تكون قارباً صغيراً أو شاحنات البضائع التي تعبر البحر بواسطة قوارب كبيرة.

أما عن أدبيات هذه الظاهرة في الجزائر⁽¹⁷⁾ فتعود جذورها إلى زمن فاتح الأندلس طارق ابن زياد، الذي لم يدري وهو يحرق سفينته عند وصوله إلى الضفة الأخرى، أن سلوكه هذا سيصير مثلاً يقتدى به بالنسبة لشباب الجنوب. فالذين تكتب لهم النجاة من الغرق في مقبرة البحر المتوسط و يصلون إلى شواطئ أوروبا أولاً إلى حرق أوراق الهجرة، أملاً في اكتساب هوية جديدة؛ ومن ثم يرجح أن تكون هذه الحادثة سبب ظهور مصطلح "الحرق".

وفي نفس السياق فقد مارس فقراء الجزائر⁽¹⁸⁾ منذ عشرات السنين، عندما أثقل كاهلهم البؤس عمليات الهجرة نحو فرنسا وسجلت عددا من الضحايا. ومن أشهر قضايا الحرق في الجزائر

ما حدث عام 1926 عندما ركب أربعون شخصا في باخرة بسيدي فرج دون علم طاقمها كانت متجهة إلى ميناء مرسيليا؛ وتم إدخال هؤلاء داخل مخازن الفحم في السفينة حتى لا يشعر بهم أحد، ولكن الرحلة طالت في البحر الذي كان هائجا ما أدى إلى احتراق الغاز و موت كل هؤلاء المهاجرين الذين تم اكتشاف أمرهم عند بلوغ ميناء مرسيليا؛ ومع ذلك تواصلت هذه الظاهرة حتى بعد الحرب العالمية 2، لتعود الآن بأشكال جديدة عن طريق شباب يبحرون من عنابة و من الغزوات... بحثا عن الآمال الضائعة.

كما تشير إحصائيات القوات البحرية الجزائرية⁽¹⁹⁾ إلى التزايد المخيف لعدد الموقوفين من المهاجرين غير الشرعيين خلال سنة 2008 مقارنة بالسنتين الماضيتين وتضاعف العدد مرتين بحيث تم توقيف 750 شخص خلال سنة 2006، و لم يتعدى عدد الموقوفين 127 شخص سنة 2005، مع استرجاع القوات البحرية أثناء عملية البحث و المطاردة على طول الشريط الساحلي لـ 385 قارب صيد ونزهة ، منها ما تم شراؤه أو سرقة.

لكن و في إطار سلسلة التعديلات التشريعية الجزائرية المواكبة للتغيرات الدولية، وانتشار ظاهرة انتقال الشباب الجزائري إلى أوروبا بصفة غير قانونية، استحدثت المشرع الجزائري في مدونته العقابية(بموجب تعديل 2009)المادة 175مكرر 1" دون الإخلال بالأحكام التشريعية الأخرى السارية المفعول، يعاقب بالحبس من شهرين إلى ستة أشهر وبغرامة من 20,000 دج إلى 60,000 دج أو بإحدى العقوبتين كل جزائري أو أجنبي يغادر الإقليم الوطني بصفة غير شرعية أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية أو الجوية ، وذلك بانتحاله هوية باستعماله وثائق مزورة أو أي وسيلة احتيالية أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة أو من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول.وتطبق نفس العقوبة على كل شخص يغادر الإقليم الوطني عبر منافذ أو أماكن غير مراكز الحدود"⁽²⁰⁾. كما أشارت إحصائيات قيادة حرس السواحل الجزائرية التابعة للقوات البحرية بأن قواتها أحبطت محاولات غير شرعية لـ 1500 شخص حولوا الإبحار بطريقة غير شرعية منذ جانفي إلى ديسمبر 2015.⁽²¹⁾

رابعا: عرض لحالات نفذت هجرة غير شرعية لدى الشباب محل الدراسة:

الحالة 1: فاتح* شاب يبلغ 26 سنة، مستواه جامعي متحصل على شهادة البكالوريا لغات ويتقن ثلاث لغات أجنبية (فرنسية- انجليزية- اسبانية)، غير متزوج، مقيم بحي بوخضرة /عنابة مع أسرته في سكن ملك لهم، يبلغ عدد أفراد أسرته 05. الأب متقاعد والأم مديرة مركز للعجزة. يصرح أحمد أن قرار هجرته جاء نتيجة لعدم رضاه عن الأوضاع العامة للبلاد؛ التي انعكست عليه سلبا خاصة من ناحية فرص العمل، علما أنه قام بتقديم عدة طلبات عمل للعديد من الجهات كالأمن الوطني، الدرك، الجمارك، لكنها رفضت كلها. حتى عندما مارس الأعمال الحرة من خلال فتح كشك متعدد الخدمات، أغلق بسبب البيروقراطية و الرشوة. كما قام بتقديم ملفات لطلب تأشيرة ورفض طلبه، بالرغم من استيفائها لجميع الشروط القانونية. كل هذه الظروف دفعت هذه الحالة لمحاولة الهروب من بلدها لتحسين أوضاعها وضمان مستقبلها. وعند فشل محاولته في الهجرة كان فاتح قد جعل أسرته تعاني الأمرين خاصة أمه حينما سمعت بمحاولته إذ أصبحت تعاني من مرض السكري، كما أنه فوجئ عند عودته بقبول إحدى المؤسسات الخاصة توظيفه غير أن مغادرته جعلته يفقد فرصته في الحصول على عمل.

الحالة 2: أمين شاب يبلغ من العمر 21 سنة، مستواه التعليمي ثلاثة ثانوي. يقيم مع أمه في منزل جديه بحي سيدي سالم بعد وفاة والده في حادث مرور. بالرغم من محاولاته العديدة للحصول على عمل إلا أنه لا زال بطلا منذ فشله في نيل شهادة البكالوريا. تشكلت فكرة الهجرة غير الشرعية لديه من جراء إحساسه بأنه عالة على جده الذي يزوده بالمصروف اليومي، وعدم تحمله نظرة الشفقة من أمه. فحاول الهجرة بصورة سرية لكن تم القبض عليه من طرف حراس الشواطئ بمنطقة بحرية بتونس و أعيد للبلاد. لكنه مازال يفكر في الهجرة. و في أثناء محاولته هذه أصيبت أمه بانهايار عصبي خاصة و أنه الابن الوحيد لها. إلى جانب أن جده الذي كفهل تراجعته صحته و تدهورت لأنه كان قريبا من حفيده و لم يتحمل بعده عنه.

الحالة 3: يبلغ محمد 30 سنة من العمر، مستواه التعليمي التاسعة أساسي يقيم مع أسرته بحي سيدي سالم. يعمل بمحل لبيع الملابس النسائية بصفة مؤقتة بعقد مدته عام ونصف. وقبل ذلك عاد من محاولة فاشلة للهجرة (ماي 2007). و يرجع سبب محاولته الهجرة سرا إلى عدم إحساسه بطعم الحياة خاصة و أنه لم يتزوج، وهو في سن مناسبة و لم يحصل على وظيفة مستقرة؛ كما أنه تعرض للطرد من جميع الوظائف الحكومية التي كان يعمل بها.

فهو لا يشعر بالاستقرار الأسري لأنه أكبر إخوته و عليه تحمل مسؤوليتهم بالرغم من صغر سنه نظرا لأن أباه مقعد. و نتيجة لذلك أصبح يرتاد غالبا المناطق المطلة على البحر حتى صادف أن شاهد التخطيط لعملية هجرة سرية، فجمع كل مدخراته و دفعها ليضمن مكانا داخل زورق بغية البحث عن الأفضل. و أثناء محاولته للهجرة و التي فشلت تشرد إخوته و أصبح اثنان منهم يحترفان السرقة، و أمه أصبحت تشتغل في البيوت. كما تحطمت نفسية هذه الحالة تماما بعد فشل محاولتها و انهارت آماله بعدما وضع مدخراته كلها في هذه الرحلة.

الحالة 4: كمال يبلغ عمره 25 سنة، جامعي، عمل في البناء، يقطن بحي بوخضرة مع أسرته المكونة من 09 أفراد وهو أكبرهم. قرر الهجرة بعد أن تم فصل والده من مركب الحجار فأدمن الكحول وغادر المنزل، ما دفع بالأم للعمل كخياطة لتوفير مصاريف الدراسة لأبنائها. هذا ما دفعه للتفكير في الهجرة سرا، للتخلص من هذه الظروف الصعبة و المسؤولية التي أجبر على تحملها في مقتبل عمره. وأثناء محاولته للسفر توفي والده إثر أزمة قلبية نظرا لأن هذا الأخير كان يعول على أن يتحمل معه كمال مسؤولية إخوته و أمه. كما توقف اثنان من إخوته عن الدراسة نظرا لظروفهم المادية الصعبة. و أصبحت الحالة تعيش بعد فشل محاولة الهجرة على الكحول و المخدرات فطرده أمه من المنزل و لازال يخطط للهجرة مرة أخرى.

الحالة 5- بلال شاب يبلغ من العمر 18 سنة، مستواه التعليمي متوسط، أعزب، بطل يعيش ضمن أسرة تتكون من 08 أفراد بحي بوخضرة. والده عامل بمصنع الحديد و الصلب لكن راتبه لا يكفيهم، الأم ربة بيت. دق بلال جميع الأبواب طالبا عملا دون جدوى؛ وما زاد وضعه سوءا حجم أسرته الكبير، إذ لا يشعر بالراحة و الاستقرار معهم بسبب المشاكل المتسببة عن ضيق المسكن. لم يترك عملا لم يمارسه. كل هذه الأوضاع دفعت به للهجرة السرية دون تفكير مسبق في العواقب، مع إصرار تام على تكرار المحاولة في حالة فشله. في أثناء تنفيذه لمحاولته احترق منزل عائلته و عند عودته وجد عائلته مشتتة و مقسمة لدى أقاربهم و هو ما زاده إصرارا على تكرار المحاولة مرة أخرى.

خامسا: مناقشة عامة:

على الرغم من أن هناك إجماع-حسب معظم الحالات السابقة-؛ على أن أسباب تنامي هذه الظاهرة يرجع في الأساس إلى النواحي الاقتصادية، إلا أن الأوضاع السياسية والاجتماعية تلعب هي الأخرى دورها وهو ما يمكن تفصيله فيما يلي:

-**العوامل الاقتصادية:** من الواضح أن البلدان الطاردة أو تلك التي تشهد هجرة غير شرعية منها إلى بلدان أخرى، هي دول تقتصر إلى التنمية وتعاني من قلة فرص العمل، وانخفاض الأجور ومستويات المعيشة، إضافة إلى معاناتها من البطالة الشديدة التي يعيشها عدد كبير من الشباب والحاصلين على مؤهلات جامعية.

- **العوامل السياسية:** وتشكل عاملاً أساسياً في الهجرة من الدول النامية إلى الدول المتقدمة، فالمحسوبية والفساد وانتهاك حقوق الإنسان والقيود على حرية التعبير وغياب الديمقراطية؛ كلها أمور تدفع في اتجاه الهجرة السرية، وخاصةً لدى أصحاب التعليم العالي أملاً في الحصول على فرص معيشية أفضل.

-**العوامل الاجتماعية:** حيث دأبت وسائل الإعلام منذ عقود على رسم صورة متفائلة للمهاجر إلى أوروبا وإلى الغرب، فأظهرته في الغالب يحقق نجاحاً منقطع النظير ويوصل للثراء السريع، وكلها أمور تدفع الشباب للمحاكاة و التقليد لتحقيق هذا الحلم.

-**كما يعد الانبهار بالغرب** عاملاً آخرًا للهجرة السرية، بعد الهوة الكبيرة التي باتت تفصل بين القارة الأوروبية وبين دول العالم النامي في النواحي الاقتصادية والتكنولوجية وغيرها، خاصةً أن الشباب عادةً ما ينبهر بالمظاهر المادية بغض النظر عن أخلاقيات و عادات المجتمع الأوروبي.

لكن عندما يتحول البحث عن عمل إلى مقبرة تلتهم شبابنا؛ سواء كان من خلال غرقهم في طريق الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، أو القبض عليهم على حدود تلك الدول، فإننا أمام أزمة عويصة وجب التقليل من عواملها. فلا شك أن هذه الظاهرة تمثل قضية خطيرة، وتحدياً من التحديات التي باتت تواجه ليس فقط المجتمع الجزائري ولكن الشمال الأفريقي وربما الجنوب بأكمله، والتي يجب مواجهتها والتصدي لها من خلال منظومة متكاملة من الإجراءات والجهود على المستويين المحلي و الدولي، ولهذا ينبغي أن ندرك أن التصدي لهذه الظاهرة هي مسؤولية جماعية ينبغي أن تقوم بها كافة أجهزة الدولة .

وأخيراً يجب أن نعلم أن معظم الشباب مصاب بالإحباط الشديد من المستقبل، ومن تحقيق أحلامه بالرغم من وجود طاقة كبيرة لديه، والدليل هو إقدامه على الهجرة غير الشرعية وتحمله المغامرة بحياته. فالحل الأسلم يجب أن يكون باستغلال هؤلاء الشباب الاستغلال الأمثل لأنهم ثروة بشرية كبرى؛ فباستغلال تلك الثروة سوف نقضي على تضحية الشباب

بأنفسهم، من خلال توفير فرص أفضل لفتح آفاق جديدة للعمل والهجرة الشرعية كشركاء في التنمية والأمن والاستقرار. و منه يمكن مواجهة تلك الظاهرة عن طريق العديد من السبل: أ-إنتاج برامج إذاعية متنوعة تتعلق بتوعية الشباب بمخاطر هذه الهجرة، وتعريفهم بأن المهاجر غير الشرعي لا يتم تقنين وضعه ومنحه إقامة رسمية أو جنسية على الإطلاق مهما طال فترة بقائه في الدولة التي قصدتها.

ب-ضرورة التحرك الجاد نحو تنمية فاعلة ومستدامة لخلق المزيد من فرص العمل للشباب لرفع مستواهم المعيشي.

ج-فرض عقوبات رادعة على الأفراد والجماعات التي تدير أو تسهل هذه الظاهرة. د-أن تعمل الوزارات الجزائرية بالعمل على جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية لخلق سوق عمل و فرص عمل.و تحديد حد أدنى من الأجور داخل القطاع الخاص حتى لا يشعر الشباب بالاستغلال داخل الوطن.وضرورة توفير البديل الشرعي للشباب عن طريق عقد اتفاقيات ثنائية أو متعددة الأطراف بين الدول الطاردة والدول المستقبلة للشباب بغرض توفير كل الضمانات.

و-أن يكون لرجال الدين في المساجد دور في توعية الأسرة والشباب بمخاطر هذه الظاهرة. ي-تسهيل إجراءات حصول الشباب على أراضي الإصلاح الزراعي في المشاريع الجديدة. ن-أن تعمل الدولة على تشجيع رجال الأعمال والمستثمرين على إقامة مشاريع مفيدة للشباب.وتشديد الرقابة على المحسوبة والوساطة،منعاً لإحباط الشباب واندفاعه إلى إتباع سبل غير مشروعة. و كذا العمل على غرس قيم ومفاهيم المواطنة والانتماء لديهم.

ملحق رقم-1:-بوضح دليل المقابلة المعمقة:

المحور الأول: البيانات الأولية:

1-الجنس:أنثى ذكر

2-السن:من 15-20سنة..../من 21-25 سنة..../من 26-30 سنة...../من 31 سنة إلى ما فوق.....

3-المستوى التعليمي:لا تقرأ و لا تكتب..../ابتدائي.../متوسط.../ثانوي..../جامعي....

4-الحالة المدنية:أعزب..../متزوج...../مطلق...../أرمل.....

5-الوضعية الاجتماعية:عامل في قطاع عام...../ عامل في قطاع

خاص...../طالب..../بطل.....

المحور الثاني: عوامل الهجرة غير الشرعية لدى الشباب:

- 6- المعاناة من البطالة: نعم لا
 - 7- غموض يكتنف مستقبلك: نعم لا
 - 8- الهروب من الأوضاع الاجتماعية المزرية السائدة في مجتمعك: نعم لا
 - 9- تأثرت بمحاولات شباب آخرين: نعم لا
 - 10- عوامل أخرى لم نذكرها تحدث عنها رجاء.....
- المحور الثالث: آثار الهجرة غير الشرعية على الشباب:
- 12- آثار على صحتك الجسدية: أذكرها من فضلك.....
 - 13- آثار على نفسيته: أذكرها من فضلك.....
 - 14- آثار على عملك و مستواك المعيشي: أذكرها من فضلك.....
 - 15- آثار على أسرته التي خلفتها وراءك: أذكرها من فضلك.....
 - 16- آثار أخرى لم نذكرها. اذكرها لو سمحت.....

الهوامش:

- 1- سامية بلقاضي: "الهجرة آخر الحلول"، مقال نشر بجريدة الخبر الأسبوعي، عدد 330، الجزائر، 2005، ص 12.
- 2- جريدة الخبر اليومي، 19/4/2008، عدد 2272، ص 7
- 3- سامية بلقاضي: "الهجرة آخر الحلول"، مقال نشر بجريدة الخبر الأسبوعي، عدد 330، الجزائر، 2005، ص 12.
- 4- يمينه حمدي: "قوارب الموت: الهجرة السرية - حلول تنموية أو أمنية"، مقال نشر بجريدة العرب الأسبوعي، عدد 4-8، الجزائر، 2009، ص 29.
- 5- فائزة لعموري: "من 180 ألف هاجروا إلى أوروبا في 2016"، مقال نشر بجريدة المساء، يومية وطنية إخبارية، من الموقع el-massa.com.
- 6- الهجرة غير الشرعية، منتدى المغتربين و المهاجرين، 21/09/2009.
- 7- المنجد الأبجدي؛ دار المشرق، ط5، بيروت، لبنان، 1987، ص 10.
- 8- عبد الله عبد الغني غانم: المهاجرون، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 2002، ص 18.
- 9- نفس المرجع، ص 20.

- 10- الهجرة في عالم مترابط : اتجاهات جديدة للعمل؛ تقرير اللجنة العالمية للهجرة الدولية ،أكتوبر ،2005 ،ص 42.
- 11- سامي محمود، أسامة بدير: "أوروبا و الهجرة غير المنظمة في مصر بين المسؤولية و الواجب"، مركز الأرض لحقوق الإنسان، سلسلة حقوق إقتصادية و اجتماعية،، عدد 68 ،القاهرة،2009،ص120 .
- 12- علي الحوات و لورنس هارت: "الهجرة غير الشرعية المشكلة و الآثار ؛ بلدان العبور نموذجا"،محاضرة قدمت بالمركز العالمي لدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر،**البلد**، الأربعاء 22 رمضان 2007 ،صص 35 - 40 .
- 13- نفس المرجع ،ص140 .
- 14- نفس المرجع ،ص144 .
- (*) : أحمد : اسم رمزي للحالة الأولى و نفس الشيء بالنسبة لبقية أسماء الحالات الأخرى.
- 15- أنطوان زحلان: هجرة الكفاءات العربية،ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،2001، ص 30 .
- 16- محمد خضر عبد المختار: **الاغتراب و التطرف نحو العنف**،دار الغريب للنشر و الطباعة و التوزيع ، القاهرة ، 1999 ،ص55.
- 17- عبد الرحيم العطري: اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط،ط1،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،2006/2007 ، ص 213 .
- 18- نفس المرجع،صص216-220 .
- 19- ش.نبيل: "الهجرة غير الشرعية في الجزائر"، مقال نشر بجريدة الخبر، عدد 1840 ،الجزائر،2008 ،ص 6 .
- 20- أحمد طعيبة و مليكة حجاج: "الهجرة غير الشرعية بين استراتيجيات المواجهة و آليات الحماية"،مقال نشر بمجلة جامعة ورقلة،2016،ص17.
- 21- جريدة Reflexion يومية وطنية الكترونية للمعلومات: "1500 جزائري حاولوا الهجرة غير الشرعية سنة 2015"،الأحد 04 جوان 2015،ص1.